

المسألة النسائية في الفكر الإصلاحية:
قراءة في الإصلاحية الباديسية

أ.ضيف غنية

أستاذة مساعدة

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

جامعة الجزائر2

ملخص الدراسة :

في مناخ فكري وسياسي خاص تناول ابن باديس المسألة النسائية في إطار مشروعه الإصلاحية كمسألة اجتماعية وكقضية إنسانية ومجتمعية عامة من الدرجة الأولى و قد ارتبطت هذه المسألة بوضع المرأة في المجتمع أساسا ، والأدوار الموكلة إليها في إطار الارتقان العام الذي أصاب المجتمع منذ قرون، وعززته الوضعية الاستعمارية . وقد حاولنا من خلال هذا المقال قراءة تناول ابن باديس للمسألة النسائية من خلال عنصرين أساسين ، أولهما هو تمثله لمسألة تعليم المرأة ، أما ثانيهما فهو تصوره للعلاقة بين المرأة والرجل.

مقدمة الدراسة:

احتلت المسألة النسائية حيزا مهما في الأدبيات النهضوية والإصلاحية العربية في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ،وقد انتظمت هذه الأدبيات حول معالجة وضع المرأة في إطار نوع من "المقاربة الجدالية للعلاقة بين التراث وموقع المرأة في الفضاء الاجتماعي لأنها بالذات علاقة بين عقيدة وسلوك . بين تصور نظري وواقع سائد وهي مقاربة يجتمع حولها العديد من المدافعين عن حقوق المرأة والمناوئين لهذه الحقوق"¹

¹ . محمد الحداد : حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحية ، دار الطليعة ، بيروت ، 2002، ص144 .

ففي ظل معطى جديد تميز بحضور قوة اجتماعية ،سياسية وثقافية جديدة هو المدنية الأوروبية في إطار ما يسميه جورج بالاندييه الوضعية الاستعمارية ، كتب محمد بن مصطفى بن الخوجة صاحب "المرأة" في نهاية القرن التاسع عشر في مؤلفه الشهير "الاكتراث في حقوق الإناث" الذي نشر بمطبعة فونتانة بالجزائر عام 1895 م عن وضع المرأة المتردي بسبب الجهل بالدين فقال : "وسبب ذلك كله جهلهم و جهل أزواجهم بعلم الدين المرادف للفضة التمدن عند غيرنا"¹ وتناول الأمير عبد القادر الجزائري هذه المسألة قبله في رده على مجموعة أسئلة وردت إليه من أحد الضباط الفرنسيين وهو العقيد أوجان دوما "الذي كانت له معرفة جيدة بأحوال الجزائر الإدارية والسياسية والتعليمية فضلا عن إتقانه للسان العربي . كانت هذه الأسئلة وعددها عشرون تتعلق بالأحوال المختلفة للمرأة المسلمة أرسلها إلى الأمير طالبا الإجابة عنها"² كما تناول العديد من العلماء المغاربة هذه المسألة على غرار التونسي الفقيه أحمد بن أبي الضياف (1803- 1874) في "رسالة في المرأة" ، والظاهر الحداد (1899- 1935 م) في مؤلفه المشهور "امراتنا في الشريعة والمجتمع" و جاء الكتاب ليعبر عن مشكلة المرأة، وعن أزمة مؤسسة الأسرة ، وقد "جعل الكتاب قائما على المفارقة بين مستويين : الواقع الاجتماعي المير من جهة وقصور الخطاب الشرعي في صيغته السائدة عندئذ على تقديم ما يتطلبه الواقع من إجابات من جهة ثانية ، ثم جعل هذا التضاد المدخل الضروري لتقديم البديل المنهجي و القيمي والعملية الذي يمكن من تجاوز الأزمة الكبرى"³ أما في المشرق العربي فقد نشر قاسم أمين (1865- 1908) سنة 1899 كتاب "تحرير المرأة" ناقش فيه وضع المرأة باعتباره جوهر القضية الاجتماعية والذي لا يمكن أن يتحسن في منظوره إلا

¹ . محمد بن مصطفى بن الخوجة :الاكتراث في حقوق الإناث ،نقلا عن محمد الحداد ، نفس المرجع ، ص 146 .

² . للإطلاع على النصوص الكاملة للأسئلة والإجابات عليها ارجع إلى أحميدة النيفر : النص الديني والتراث الإسلامي ، دار الهادي ، بيروت ، 2004 ، ص 336 .

³ . أحميدة النيفر : النص الديني والتراث الإسلامي ، دار الهادي ، بيروت ، 2004 ، ص 328 .

عن طريق التربية وكتب بأن "تدهور الإسلام هو نفسه نتيجة لا سبب لتدهور القوة الاجتماعية . إن السبب الحقيقي للفساد إنما هو ، في نظره ، زوال الفضائل الاجتماعية ...وما سبب ذلك إلا الجهل ...ويبدأ الجهل في العائلة. فالعلاقة بين المرأة والرجل ، بين الأم والولد إنما هي أساس المجتمع.... وما دور المرأة في المجتمع إلا إصلاح أخلاق الأمة"¹

وقد ظهر بعد كتاب قاسم أمين العديد من المؤلفات التي وافقت آرائه أو عارضته ، وفي 1900 نشر كتاب آخر بعنوان " المرأة الجديدة " تناول أيضا قضايا المرأة بخلفية معرفية جديدة لم تعتمد على النص الديني فقط ولكنها اعتمدت أيضا على أفكار العصر حول الإنسان والمجتمع حيث "أصبحت مقاييس الحكم على الأشياء مبادئ القرن التاسع عشر الكبرى : الحرية والتقدم والمدنية فالحرية تعني استقلال الإنسان في التفكير وفي الإرادة وفي الفعل شرط بقائه ضمن حدود القوانين ... لكن حرية المرأة هي بدورها أساس جميع الحريات الأخرى ومعيار لها ، فعندما تكون المرأة حرة يكون المواطن حرا "

في هذا المناخ الفكري العام تناول ابن باديس المسألة النسائية في إطار مشروعه الإصلاحية كمسألة اجتماعية وكقضية إنسانية ومجتمعية عامة من الدرجة الأولى، وترتبط هذه المسألة بوضع المرأة في المجتمع أساسا، والأدوار الموكلة إليها في إطار الارتقاء العام الذي أصاب المجتمع منذ قرون، وعززته الوضعية الاستعمارية. وقد حاولنا من خلال هذا المقال قراءة تناول ابن باديس للمسألة النسائية من خلال عنصرين ، أولهما هو تمثله لمسألة تعليم المرأة ، أما ثانيهما فهو تصوره للعلاقة المرأة والرجل .

1-مسألة تعليم المرأة:

ترتبط مسألة تعليم المرأة بمشكلة عامة هي وضع المرأة في المجتمع (المتخلف) والذي يصفه ابن باديس في النص التالي : "كنت وأنا قادم للعاصمة من "حصن الماء " أحوم على موضوع اختاره للمحاضرة التي أفترحها علي أعضاء النادي المحترمون . فوقع فكري على المرأة وحالتها وواجباتها وحقوقها . وبينما أنا أفكر فيها وأجمع أطراف الحديث في شأنها إذ أنا برجل مسلم جزائري بزنوسه

¹. ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، ترجمة كريم غرقول ، دار النهار للنشر ، بيروت ، د.ت ، ص 202.

3. نفس المرجع ، ص 105 .

و قنوره وقف أمامي - لم يقف أمام حسي ولكن وقف أمام خيالي - وأخذ ذلك الرجل يخاطبني بشدة وعنجهية ويقول: "أنتم تفكرون في تعليم المرأة فلمن تعلمونها؟ لي أنا الرجل الجاهل ليقعن لها ما يقع للعالم الضعيف المغلوب من الجاهل القوي الغالب . ومن يعلمها؟ أنا الجاهل كيف اترك نفسي وأعلمها؟ أنتم تفكرون في نزع حجابها وخلطها بالمجتمعات ألا تخافون عليها غيرتي؟ فلاقاتلن عليها . ألا تخافون إغارتي؟ فلا ضايقهن ولترين مني كل أنواع التعدي والأذى . إذا أردتم التفكير الصحيح والإصلاح المنتج ففكروا في قبلها فأنا أبوها ، وزوجها ، ووليها ومصدر خيرها وشرها"¹

ويمكن أن نستخلص من النص أن هذا الواقع يتميز ب :

أ- الهيمنة الذكورية وتبعية المرأة للرجل، لذلك لا بد أولاً من البدء في تعليمه وتهديته، وتحديد أدواره تحديدا واضحا، من أجل أن يكون لتعليم المرأة معنى في المجتمع.

ب- الجهل الذي هو مشكلة اجتماعية عامة وأحد أسس التخلف والانحطاط، لذلك لا بد من تجاوزها من خلال التعليم و إشراك الإنسان في الفعل التاريخي.

ويمكن القول في هذا السياق إن محمد عبده قد تحدث عن وضع المرأة في اجتهاداته الفكرية مبينا أن "وضعها كان انغلاقيا مقفلا، وكانت تحمل نقائص الزوج أو مشاعره بالعجز والقصور ، وشاشة تسقط عليها الدونيات ، و منتوج علائق اجتماعية غير عادلة أو إرضاخيه وقاهرة... فهي ذلك العنصر الاجتماعي الذي كان منغلبا منجرحا مسفلا في بنية عامة مقهورة مبخسة"²

كما يمكن استخراج عنصر ثالث يعبر عن وجود قوى اجتماعية تغريبية تحاول اجتثاث المرأة من انتمائها ، وهو ما يعبر عنه النص التالي: " وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها . وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية

¹ . عبد الحميد بن باديس : الرجل المسلم الجزائري ، في الشهاب ، المجلد الخامس ، الجزء العاشر ، عدد نوفمبر 1929 ، ص ص 491 . 492 .

² . علي زيعور : الخطاب التربوي والفلسفي عند محمد عبده ، دار الطليعة ، بيروت ، 1988 ، ص 110

مكاننا عليا في العلم وهن متحجبات . فليت شعري ما لذي يدعوكم اليوم إلى الكلام في كشف الوجوه قبل كل شيء فهذيب الرجل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل بها . وما ذلك إلا ببثها بالمحاضرات في النوادي ، بالدروس العامة في المساجد ، بالخطب الجمعية على المنابر . وإذا كانت هذه طريقا للتعليم العام فعلينا أن نجعلها في أول ما نهتم به من شؤون إصلاحنا¹ وقد وجدنا في المتن نصا آخر يعبر عن هذه الرؤية ، هذا النص هو عبارة عن رد على الظاهر الحداد عن مواقفه من مسألة المرأة في كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " ، يقول فيه ابن باديس : " كان صاحب هذا الكتاب حدثنا عنه أيام إقامتنا بتونس بالصيف الماضي ، ففهمنا من حديثه أنه يتكلم فيه عن النهوض بالمرأة نهوضا صحيحا وتعليمها تعليما مفيدا في حدود إسلامها التي هي بنظر كل عاقل منصف حدود الإنسانية الكاملة . وما توقعنا منه أنه يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية إلى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أئوتتها . فإذا بنا لما أهدى إلينا كتابه وطالعناه وجدنا ماهو أدهى من ذلك و أمر وجدناه يدعو إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحة القطعية الاجتماعية ، وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر . وهذا هو الجحود نفسه لبعض القرآن ، وجحود بعضه كجحود كله في مفارقة الإسلام"² .

من هنا فإن فاعلية إصلاح شأن المرأة لا بد وأن تمر أولا عبر إصلاح شأن الرجل ، وفي ذلك يكتب ابن باديس بلسان الرجل معبرا عن هذه المسألة : " إذا أردتم التفكير الصحيح والإصلاح المنتج ففكروا في قبلها فأنا أبوها وزوجها ووليها ومصدر خيرها وشرها"³ . ويمكن القول انطلاقا مما سبق أن مسألة تعليم المرأة تدخل ضمن إشكالية عامة تتعلق بتعليم الإنسان الجزائري رجلا كان أم امرأة ، وقد رأى أن حل مشكلة تعليم المرأة يقتضي إعادة صياغة تمثل مفهوم الرجل والمرأة وتحديد أدوارهما ، وهي مسألة تابعة لتصور نموذج الإنسان وتحديد أدوارها .

عبد الحميد بن باديس، الرجل المسلم الجزائري، مرجع سابق ص 491¹.

نفس المرجع، ص 492².

نفس المرجع، ص 492³.

وقد وجدنا أن هذا التصور يقوم على أبعاد ثلاثة هي :

أ- البعد البيولوجي:

و يرتبط هذا البعد بتصور الدور البيولوجي والأدوار الاجتماعية للمرأة والذي يتمثل في كونها " خلقت لحفظ النسل " و يرتبط بدور اجتماعي يتحدد في المجال الأسري من خلال كونها " ربة البيت وراعيته بمقتضى الخلقة للقيام به " ، ودور ثقافي يتمثل في " تربية الإنسان في أضعف أطواره " ،

وهنا نلاحظ أنه تحدث عن تربية الإنسان ولم يتحدث عن تربية الطفل، وهو ما يشير إلى دورها الأساسي في صناعة الإنسان ، وهو أكبر من مجرد دور اجتماعي وثقافي آني لأنه يقوم على تصور يتطلع إلى المستقبل

غير أن القيام بهذه الأدوار يشترط التعليم " فعلى أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ¹ وهو ما يتطلب حضور العامل الأخلاقي " ونربيهما على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة لا نصف رجلونصف امرأة " لماذا؟ " لأن التي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها " ²، هنا نتساءل لماذا لا تطير بنفسها؟ هل هذا يعبر عن رؤية تقليدية متشددة ؟ أم أنه تشديد على أهمية مسؤولية المرأة في حماية المجتمع من الأخطار الأخلاقية ، ومن ضياع الهوية ، وهو ما يشير إلى دورها السياسي الخفي والهادئ والذي وسيلته التربية ، تربية الإنسان .

وينبغي تعليم المرأة على مرتكز ديني ، فالتعليم الذي يقدم إلى المرأة كما يحدده المتن هو تعليم يقوم على الدين انطلاقاً من القاعدة القرآنية المقررة بالمساواة بين النساء والرجال في الحقوق والواجبات " (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ، فعلى أن نعلمها ما تكون به مسلمة ، ونعرفها عن طريق الدين مالها وما عليها " بمعنى تعليمها الحق والواجب وهو ما يشير إلى رفع المرأة إلى مستوى المواطنة على الأقل في دائرة مجتمعها المحلي ، وينظر إلى أن الأدوار الاجتماعية والاقتصادية المرأة شرط النهضة ، والعمران " لا تقوم الحياة إلى على النوعين اللذين يتوقف العمران عليهما وهما الرجال و النساء.... وانظر إلى حظ المرأة في السبق إلى تأييد الإسلام بالنفس والمال، والعطف والحنان ¹

1. نفس المرجع ، ص 492 .

2. نفس المرجع ، ص 492

فأول مال وده رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم هو مال خديجة، وأول عطف لقيه ، وأول قلب انفتح لسماع كلمة النبوة - كما في حديث بدء الوحي- هو عطف خديجة وقلب خديجة ، وأول شهيدة في الإسلام - كما اتفق عليه علماء السيرة - هو سمية . فلنينهض المسلمون نهضة حقيقية إسلامية إلا إذا شاركهم المسلمات في نهضتهم في نطاق عملهن الذي حدده الإسلام وعلى ما فرضه عليهن من صون واحتشام"¹

وقد أشار المتن في سلسلة "رجال السلف ونساؤه إلى الدور الاقتصادي للمرأة ممثلا في شخصية الصحابية " الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية " ، حيث قدم صورة لأهمية التعليم في توظيف النساء وتأهيلهن للمناصب الاقتصادية ، ويستدل على مكانة المرأة في الزمن الإسلامي الأول بما فعله الخليفة عمر بن الخطاب كاتباً "كان عمر بن الخطاب رضي الله يرهاها (الشفاء) ويفضلها ويقدمها في الرأي تقديرا لسابقتها وعقلها ومعرفتها وفضائلها . وكان ربما ولأها شيئا من أمر السوق"² ومنه أقر ابن باديس بأن "تتعلم المرأة الكتابة ، وتعلم غيرها ، وتتولى تدبير أملاكها وتجارها ، وما تستطيعه من أمر عام . كما تولت الشفاء أمر السوق في بعض الأحيان ومما لاشك ان مما أهلها لذلك عند عمر معرفتها بالكتابة"³

ب- البعد الهوياتي :

وهو ما يتعلق بالهوية القومية في تعبير ابن باديس والذي يختلف عن الهوية السياسية كما أوضحنا سابقا، حيث تبنى جنسية الجزائرية انطلاقا من نقل عناصر هويتها إليها وهي الدين واللغة و القومية ف " الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها بحقائق ذلك " وهي نفس العناصر التي تنتقل إلى الرجل ، ويتضح من خلال هذا النص أن عناصر الهوية واضحة و لا تختمل في تصوره أي إضافة لعناصر أخرى وهو تعبير ضمني، ولكنه صريح لرفض الهوية الفرنسية ، أو أي

1. عبد الحميد بن باديس :رجال السلف ونساؤه :سمية بنت خبّاط ،في الشهاب ، المجلد 13 ، الجزء 3 ، عدد ماي

1937 ، ص 14

2. عبد الحميد بن باديس :رجال السلف ونساؤه ، الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية ، في الشهاب ،

المجلد 15 ، الجزء 4 ، عدد ماي 1939 ، ص182.

3. نفس المرجع ، ص182

شكل من أشكال التناقف لماذا؟ فدورها هنا يتمثل في نقل عناصر الهوية إلى الأجيال التي لم تنضج بعد، ومن هنا أيضا يظهر الدور السياسي و السوسيو -ثقافي لتعليم المرأة " فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا -عليهن رحمة الله - خير من العاملة التي تلد للجزائر أبناء لا

يعرفونها " ومن هنا يمكن القول أيضا أن هذا الدور يرتبط بوظيفة الإدماج بمعنى إدماج الأطفال والشباب الجزائريين في مجتمعهم المحلي من خلال القيام بالواجبات اتجاه الجماعة الاجتماعية سواء منها المجتمع الشامل ، أو الجماعة الخاصة ، ومنه تكون المرأة أيضا وسيط أساسي من وسائط التنشئة الاجتماعية عبر نقل التراث الثقافي، أما النتيجة المتوقعة من التعليم الذي يؤهل المرأة إلى هذه الأدوار في نظر ابن باديس فيشير إليها في قوله: "ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة والطريق السابق في تعليم الرجل - سلوكا جديا نكون - بإذن الله قد نخصنا بما نخصه صحة نرجو من ورائها كل خير وكمال "

ج- البعد الأخلاقي:

يعتقد ابن باديس أن أحد عوامل الفساد الذي يعادل في جوهره الأساسي الابتعاد عن الدين يرجع إلى عدم تدين الأمهات لماذا؟ لان "البيت هي المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن" لذلك فإن تكوين الإنسان يتطلب تكويننا دينيا للنساء (الأمهات) "فإذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا وتربيتها تربية إسلامية وإذا تركناهن عن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظاما الرجال ، وشر من تركهن جاهلات بالدين إلقاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين أو تحقره في أعينهن فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلا مثلهن "

يبدو أن الأمر الأخطر من الجهل في منظور ابن باديس هو التعليم اللاتكني الذي يؤدي إلى احتقار الدين

وإلى الانسلاخ الديني، وقد تفتن إلى الأهمية الإستراتيجية لتعليم البنات في المشروع الاستعماري، حتى لو كان الأمر في الواقع يقتصر على فئة قليلة من الجزائريات، وفي هذا يقول: "فنوع تعليم البنات"¹

هو دليل من سيتكون من أجيال الأمة في مستقبلها، وقد تفتنت لهذا بعض الأمم المألقة لزام غيرها فأخذت تعلم بناتهم تعليماً يوافق الغاية، فمن الواجب علينا - ولنا كل الحق في المحافظة على ديننا ومقوماتنا

أن نعني بتعليم بناتنا تعليماً يحفظ مستقبلنا ويكون لنا الرجال العظماء والنساء العظيمات وإلا فالمستقبل ليس كالماضي"² لقد زخر العالم الإسلامي قبل انحطاطه بالعالمات وهو ما يستدعي تعميم التعليم ليمس النساء،

حسب ابن باديس إذ يقول: "وسيرا على ما استفاض في تاريخ الأمة، من العالمات الكاتبات الكثيرات علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء، وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة. وبذلك نستحق أن نتبوا منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا من بين الأمم"³

2 - علاقة المرأة بالرجل :

قدم المتن العلاقة بين المرأة والرجل في صورتين :
أ- "شقيقته في الحلقة والتكليف" : بمعنى أنهما يتشاركان في التكوين البيولوجي، وفي المسؤوليات الدينية والاجتماعية، وهو المستوى العام .

1. عبد الحميد بن باديس :الرجل المسلم الجزائري ، مرجع سابق ،ص 491 .

2. عبد الحميد بن باديس : حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا ،في الشهاب ،المجلد 11 ، الجزء 8 ، عدد نوفمبر ، 1935 ، ص 507 .

1. عبد الحميد بن باديس : تعلم النساء الكتابة ، في الشهاب ،المجلد الخامس عشر ، الجزء الثالث ، عدد أبريل 1939 ، ص 122 .

2. نفس المرجع ،ص 507 .

ب- "شريكته في البيت والحياة": بمعنى أنهما يرتبطان أسريا واجتماعيا ، وهو المستوى الخاص ، هذه المشاركة تؤدي إلى تشكيل "وحدة مركبة من قوتين" ، و يرى أن العلاقة بينهما تقوم على التكامل من أجل غاية أساسية هي بلوغ الكمال، وهنا جعل من تقسيم الأدوار الاجتماعية بين الرجل والمرأة مسألة أساسية في تحقيق النظام ، وأن تعدي أحد الطرفين على أدوار الآخر يؤدي إلى اختلال النظام والمقصود هنا طبعاً هو النظام داخل الأسرة على مستوى ميكرو سوسولوجي ، أما على مستوى ماكرو سوسولوجي فإنه يشير إلى النظام داخل المجتمع ، لذلك يمكن أن نفترض أن احترام تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء يؤدي إلى حفظ النظام الاجتماعي ما يعبر عنه النص التالي : "إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم ، والسلوك الحميد ، اللذين ينهض بهما بجلائل الأعمال ويبلغ بهما أسمى غايات الشرف والكمال ، والمرأة خلقت لقسم الحياة الداخلي أعطيت من القوى الثلاث القدر الذي تحتاج إليه منها وهو دون ما يحتاج إليه الرجل الذي خلق للقيام بقسم الحياة الخارجي فكانت بخلقتها أضعف منه في العلم والإرادة والعمل فكانت لذلك دونه في الكمال .وتقسيم الحياة إلى قسميها ضروري لبقاء النسل وحفظه وتقسيم وظيف الحياة بين الرجل والمرأة وإعطاء كل واحد منهما القدر الذي يحتاج إليه في وظيفه من بديع صنع الحكيم الخبير .فلو لم يعط الرجل ما أعطي من كمال القوى لما استطاع القيام بالأعمال الكبيرة في قسمه ولو أعطيت المرأة مثل ما أعطي الرجل لما صبرت على البقاء في قسمها فأخلته فاختل النظام فحصل الفساد." ¹ ، في حين لاحظ أن التعدي على التقسيم الجنسي للأدوار في المدينة الغربية أدى إلى تفكك النظام : "ونحن نرى المرأة في المدينة الغربية ومقلديها لما خيل إليها أنها قوية مثل الرجل هجرت وظيفتها أو أهملتها وخرجت تزاحم الرجل في وظيفته فأضرت بالقسم الداخلي من الحياة بإهماله واضطرابه وأضرت بالقسم الخارجي بمزاحمة الرجل وزحزحة قسم كبير منه عن العمل وتعرضه للفتن" ² فكانت النتيجة أن " الأمم الغربية اليوم تشكو مر الشكوى من تفكك نظام الأسرة والخلال رباط الأخلاق الزوجية وبعضها عاجز عن تدارك أمره بما فيه من فوضى الآراء وتشعب الأهواء و

¹ . عبد الحميد بن باديس : النساء والكمال في الشهاب ، المجلد الحادي العاشر ، الجزء السادس ، عدد سبتمبر 1935، ص 392

² . نفس المرجع ، ص 392

تأصل الداء ، وبعضها قد أخذ يعالج الحالة بما فرضه على العزابة من ضريبة مالية وما جعله من مكافآت للمتزوجين والمتزوجات¹

أخيرا يمكن القول بأن تركيز ابن باديس على أدوار المرأة السوسيوثقافية يكمن في اعتبارها جزء من منظومة كاملة لصناعة الإنسان الجديد، الإنسان الحر والعقلاني ، ولاشك أن ما أوكل إليها من أدوار هو الذي تطلب المناداة بتعليمها وتحريرها من وضعيتها القروسطية في عصر كانت ميزته الأساسية العلم والتصنيع وهيمنة الوضعية الاستعمارية.

إن هذا الموقف "الذي يجعل إصلاح المجتمع مشروط بتحسين وضعية المرأة ، والذي يعتبر متقدما آنذاك ، كان قد قام جيل من الإصلاحيينبتبنيه، وإن بشكل متواضع ولكن له قيمته في سياقه وشروطه التاريخية"²

¹ . نفس المرجع ص ص 392 393 .

إبراهيم إعراب، سؤال الإصلاح والهوية من السياق السلفي إلى مشروع الحداثة، إفريقيا الشرق، المغرب، ص 135.²

قائمة المراجع :

- 1- ابراهيم أعراب : سؤال الإصلاح والهوية من السياق السلفي إلى مشروع الحداثة ، إفريقيا الشرق ، المغرب، 2006
- 2- أمحمدة النيفر : النص الديني والتراث الإسلامي ، دار الهادي ، بيروت ، 2004 ، ص 328 .
- 3- ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، ترجمة كريم غرقول ، دار النهار للنشر ، بيروت ، د.ت
- 4- علي زيعور : الخطاب التربوي والفلسفي عند محمد عبده ، دار الطليعة ، بيروت ، 1988
- 5- عبد الحميد بن باديس : النساء والكمال في الشهاب ، المجلد الحادي العاشر ، الجزء السادس ، عدد سبتمبر 1935
- 6- عبد الحميد بن باديس : تعليم النساء الكتابة ، في الشهاب ، المجلد الخامس عشر، الجزء الثالث ، عدد أبريل 1939
- 7- عبد الحميد بن باديس : رجال السلف ونساؤه ، الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية ، في الشهاب ، المجلد 15 ، الجزء 4 ، عدد ماي 1939
- 8- محمد الحداد : حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحية ، دار الطليعة ، بيروت ، 2002